

## جهلنا

### بقلم مواطن حر

على أثر الضربة التي تعرضت لها الولايات المتحدة في ١١ أيلول، كثرت النقاشات التلفزيونية لدى كافة المحطات العربية والأجنبية في محاولة تحليل الأسباب أو ... "كسب بعض النقود" من حدث الموسم. من بين هذه النقاشات، لفت انتباهي كلام لمحلل عربي يقال أنه "مطلع"، يدعي بأن من الأسباب الرئيسية للضربة التي تعرضت لها أميركا هي كثرة الحريات التي تعامل بها الدولة الأمريكية شعبها...". أستطيع عذرك يا أيها المحلل "الموزون" واسمح لي بأن أطرح عليك السؤال التالي: "من قام بالضربة الأمريكية وما جنسيتهم؟" أليسوا عربا مثلك، مما يجعل الحرية شي ليس من مقامهم؟"

على كل حال يا محللنا "الفهمان"، الدولة الأمريكية عاملت شعبها بحرية لأنه يستحق الحرية، ولأنها فهمت أن الدكتاتوريات لا تنجب سوى المشاكل والعقد الاجتماعية والعرقية، في حين أن الإنسان الذي يربى على العيش بكرامة، متمتعاً بكل ما للحرية من معنى، يخجل أن يتصرف كما تصرف من هم أمثالك بالجنسية، وبالتالي لا أتعجب إذا صدر منك هذا الكلام السخيف، فأنت عربي، أعني أنك رببت على ذل زعمائك وما زلت تسمح جوخ ملابسهم كل يوم من على المنابر الرنانة، في حين أن الشعب الأميركي ودولته احترموا مواطنيك وعاملوهم أشرف مما تعاملهم إياه أوطانهم العربية، فكان عقابهم المعاملة الإرهابية، لا لشيء، إلا لسبب واحد أنهم احترموك أنت الذي ما اعتاد يوماً سوى على الذل.

بالرغم من كل ذلك، أقول لك أيها المحلل بأن كلامك أتى صريحا، يعكس ذاتك، وبالتالي تستحق عليه التنويه في حين أن الكثيرين في المنطقة الشرق أوسطية هرطقوا بكلامهم ومنهم من يتبوأ مناصب مسؤولة على مستوى حكام، ولكن لا عجب في ذلك فقد اعتدنا على شعرهم الموزون بهرطقة الكذب. ولكن العجب الأعجب في ذلك ما صدر من المسؤولين في الجمهورية اللبنانية التي ما انفكت تستنكر ما حصل في الولايات المتحدة معتبرة إياه ضربة للحريات، ناسية أنها قبل شهر وثلاثة أيام من ١١ أيلول زجت شبابها في السجون، لا لسبب إلا لمطالبتهم بالحرية و"بكرامتهم". ذكرتني جمهوريتنا الوقورة بالمثل القائل: "لا تسألوا الغانية عن العفاف"، ربما لكثرة ما سكر سياسيوننا من العروبة بفعل زيارات الحج التي قاموا بها على خط الشام باتجاه الباب العالي دمشقي. وهنا أيضا أستعين بالمثل اللبناني التالي: "عاشر القوم أربعين يوماً، يا بتصير منن يا بترحل عنن"، وإذا كنت سياسياً لبنانياً تصبح دكتاتوراً همجياً، أو فلنختصر الأوصاف بما هو أوضح، تصبح حاكماً عربياً.

لبنان يا أيها الزعماء، لبنانيون كنتم أو عرب، امتاز منذ بدنه بما يميزه عن كل محيطه بأنه نبع الحرية واحترام الإنسان، ولو أن "سيطه" مختلف، "فالسيف" يأتي من رجال السياسة في حين أن لبنان الحقيقي هو شعبه، بمواطنيه الأحرار، بفنانيه المتحررين من قيود السياسة والدكتاتوريات، هذه، أي الدكتاتوريات العربية، التي ما أنجبت بمجملها ما أنجبه لبنان من إبداع وتحرر في الفكر. فاللبناني احترام الإنسان لأن هذا الأخير ولد ليحترم ولأنه هو، أي اللبناني، أيضا "إنسان". أسف لكل ما صدر مني من كلام لاذع ولكن هذه هي حقيقة ما أرى، كوني ما رأيت يوماً الأنظمة العربية تؤمن بالبشر التي هي تؤلف تكوينها بقدر ما تؤمن بالحجر. فلنبقى "ترندح" على هذا الموالم ولنحلم يوماً بقدرتنا على مواجهة من نسميه عدونا أي إسرائيل، بجهلنا أو تجاهلنا لطاقتنا الفكرية في حين أن عدونا الأول هو الجهل.

بيروت في ٢٠٠٢/٢/٥